

خطوات جوادية نحو عصر الإمام المهدي

من المسائل العقديّة الرئيّسية والتي عليها يدور فلك التشيع وتمثل حجر الأساس له هي مسألة الإمامة ومحبة أهل البيت عليهم السلام وهذا ما ورد صريحا عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «ولكل شيء أساس، وأساس الاسلام حينا أهل البيت»^(١).

وقد أسس القرآن الكريم لهذه المسألة في أكثر من موضع نشير لبعضها:

١- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾^(٢).

في هذه الآية الكريمة نكتة مهمة وهي أن جعل الإمامة واختيار الامام الذي يقود الامة هو من قبل الله تعالى ولا شأن للامة بذلك فلا شورى ولا وراثة ولا وصية في هذه المسألة.

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾^(٣).

روي في شأن الإمامة ومقامها عن زيد الشحام قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا وإن الله اتخذ نبيا قبل أن يتخذه رسولا، وإن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذه خليلا، وإن الله اتخذ خليلا

(١) الكافي: ٤٦/٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

قبل أن يجعله إماما، فلما جمع له الأشياء قال: "إني جاعلك للناس إماما" قال: فمن عظمها في عين إبراهيم: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَا لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون السفهيه إمام التقي»^(٤).

وأما منزلة الإمام فهي أكبر من أن يحدها القاصرون ولكن أهل البيت عرفوا أنفسهم فقد جاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون وتصاغرت العظام، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟

وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد

(٤) الكافي: ١/١٧٥.

في غير آل الرسول؟»^(٥).

والشيعة يتبعون أئمتهم في تلك العقيدة الراسخة، وعلى الرغم مما مر من فترات عصيبة تجاه هذه العقيدة فقد قدموا فيها ما قدموا.

وبسبب الظروف المحيطة بالأئمة عليهم السلام والمهام الموكلة لكل واحد منهم اقتضت الحكمة ان يكون لكل إمام دور قد يختلف نوعاً ما عن سابقه أو لاحقه، فتارة عزلة والتدخل وقت الحاجة، واخرى هدنة واخرى نهضة وتحمل تداعياتها من قتل أو سبي أو حركة دعاء وبكاء أو حلقات دروس ونشر ثقافة أو غيبة وهكذا.

فعاش شيعة أهل البيت عليهم السلام مع أحد عشر إماما ظاهراً يلودون به ويتشرفون برؤيته ويستفتونه بأفعالهم وتروكهم وسائر شؤون حياتهم، إلا انهم مروا في زمن إمامة الثاني عشر عليهم السلام بمرحلة جديدة ومنعطف استثنائي لم يعهدوه من قبل، فحاول الائمة عليهم السلام أن يهيؤوا الأرضية المناسبة لذلك كي لا يتشتت جمع أتباعهم وتضعف عزيمتهم فيرجع اكثرهم عن الصراط المستقيم، فبينوا الكثير وتمثلوا بما يناسب تلك الحقبة الصعبة ليكون الأمر سهلاً حين حدوثه، وبما أننا نعيش ذكرى شهادة الأمام محمد الجواد عليه السلام فنذكر شيئاً من صفحات سيرته ينفع في المقام:

(٥) الكافي: ١/٢٠١.

خطوات جوادية نحو عصر الإمام المهدي

عصر الإمام الجواد
محمد بن علي

الشيخ حسن الساعدي

جميعاً، وليس هذا غريباً على أهل بيتٍ زقوا العلم
زقا الا انه غريب على من كان بعمره أن يجيب على
هذا العدد الهائل من المسائل لكنها ترتفع الغرابة مع
فرد من آل محمد.

ووجه المناسبة أن الامام المهدي عليه السلام تسلم
الإمامة بعمر خمس سنوات فلا يكون غريباً لأنهم
مروا بتجربة سابقة مثيلة للظرف الذي يمرون به.

٣- التأسيس لنظام الوكالة عبر الثقة الامناء
من أصحابه ك(علي بن مهزيار) المرسل إلى قم
لتقويم وضعها الفكري، ولا يخفى أن هذا الأمر
عمل به جميع الائمة عليهم السلام لعدة أسباب أهمها تثقيفاً
للغيبة الكبرى أو حفاظاً على أرواح اتباعهم أو نشراً
لمعارفهم، ومن هؤلاء الثقة الامناء يونس بن عبد
الرحمن، زكريا بن آدم القمي، والسفراء الاربعة ثم
الفقهاء إلى زمننا هذا.

نسأله تعالى أن يمتعنا بدولة العدل المرتقبة تحت
راية ولي العصر والزمان عليه السلام.

١- الأمة والانتظار: لم تكن مسألة الانتظار أمراً
غريباً على الامة بل أن الشيعة كانوا ينتظرون ولادة
الإمام الجواد عليه السلام حيث أن الامام الرضا عليه السلام كما
ذكر المؤرخون لم يولد له الجواد حتى جاوز الأربعين
ولهذا كان اصحابه ينتظرون بفارغ الصبر أن يمتن الله
عز وجل على الإمام الرضا عليه السلام بولده، حتى أنهم
في بعض الأحيان كانوا يذهبون إلى الإمام عليه السلام
ويطلبون منه أن يدعو الله سبحانه بأن يرزقه ولداً،
فعن كليم بن عمران قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله
أن يرزقك ولداً، فقال: «إنما أرزق ولداً واحداً وهو
يرثني»^(٦).

وهذا أشبه ما يكون حركة مماثلة للانتظار
الطويل لإمام الزمان في المستقبل.

٢- الإمامة المبكرة: وهي حالة استثنائية لم
يعهدها التشيع سابقاً ان يكون الإمام والخليفة
الشرعي صغير السن ليتحمل أعباء الامة ويرعى
شؤونها، فقد تسنم الامام الجواد عليه السلام الامامة بعمر
سبع أو ثمان سنوات مما وقع كثير من الاصحاب
في الحيرة والشك فجمعوا أمرهم وجاءوا إلى المدينة
حيث دار العلم والتقوى وكان الإمام الجواد عليه السلام
بانظارهم فاحتشدت الناس في بيته من المدينة أو
من العراق فطرحوا مسائل على الإمام حتى أجاب
عن ثلاثين ألف مسألة فأزيل الريب والشك عنهم